﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ
طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن
تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠
فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ
أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾ [النازعات: 15 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقال من ذكر المكذبين المعاصرين إلى بيان مآل السّابقين

لمّا بيّنت الآيات السّابقة إنكار المكذبين بالبعث وتماديهم في الطّغيان والإنكار، وذكرت أهوال البعث والقيامة، وما يكون من خروج النّاس من قبورهم وحشرهم في الأرض؛ ناسب الانتقال إلى ذكر مثالٍ من أمثلة الكفر والتّكذيب والطُّغيان المعلوم لدى العرب، وما وقع له من العقاب الشديد؛ لتسلية النّبيّ ﷺ وتثبيته، فإنَّ شأنَ المكذّبين إلى اضمحلال، وحال الكافرين إلى بوار، فهو انتقالٌ من ذكر شأن المكذبين المعاصرين، إلى ذكر ما آل إليه حال المكذبين السّابقين، بغرضِ تثبيت المؤمنين وتبشيرهم بهلاك المكذِّبين وذهاب شوكتهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: (قدس) أصلٌ يدلُّ على الطُّهْرِ[1]، والقُدُس والقُدْس اسْمٌ ومَصْدَرٌ، ومِنْهُ قيلَ للجنَّة: حَضيرة القُدْس، والتَقْديس: التَّطْهير والتَّبْريك[2]، والتَّقْديسُ: التّطهير الإلهيّ المذكور في قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ٣٣﴾ [الأحزاب: 33]، دون التّطهير الذي هو

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدس).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (قدس).

إزالة النّجاسة المحسوسة، وقوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]، أي: نطهّر الأشياء ارتسامًا لك، ونَصِفُكَ بالتّقديس، والبيتُ المُقَدَّسُ هو المطهّر من الشّرك[1]، والمراد به في الآية الكريمة: المطهّر[2].

2) ﴿طُوًى﴾: (طوي) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِدْراجِ شَيْءٍ حَتَّى يُدْرَجَ بَعْضُهُ في بَعْضٍ[3]، طَوَيْتُ الصَّحيفةَ أطويها طيًّا، فالطّيّ: المصدر، وطَوَيْتها طَيَّةً واحدة، أي: مرةً واحدة، ويُقال: طوى اللّه لك البُعدَ، أي: قرّبه[4]، وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: 12] اسمُ الوادي، وهو مذكَّر[5]، وهو موضع بالشام، يصرف، ولا يصرف، فمن صرفه؛ جعله اسم وادٍ، وجعله نكرة، ومَن لم يصرفه؛ جعله اسم بلدة وبقعة وجعله معرفة، وقوله تعالى: ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ طوى مرّتين، أي: قدس، أي: ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين[6]، فجعل ذلك إشارة إلى حالة حصلت له على طريق الاجتباء، فكأنّه طَوَى عليه مسافةً لو احتاج أن ينالها في الاجتهاد؛ لبعُد عليه[7]، والمراد به في الآية الكريمة: طوى بالبركة والتّقديس مرّتين، أو هو اسم الوادي، أو الأرض التي بين المدينة ومصر[8].

3) ﴿نَكَالَ﴾: (نكل) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَنْعٍ وامتِناع، وأصل ذلك النِّكل: القيد، وجمعه أنكال؛ لأنّه ينكل، أي: يمنع[9]، والنِّكلُ: ضرب من اللّجم والقيود، ونَكَلَ عن اليمين: حاد عنه، والنُّكول عن اليمين: الامتناع منها، والنَّكالُ: اسمٌ لما جعلته نَكالًا لغيره؛ إذا بلغه، أو رآه خاف أن يعمل عمله[10]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل: 12]، أي: قيودًا؛ لأنّ القيد يمنع من المشي، ومنه: نكّلت به، أي: فعلت به فعلًا يمنع غيره من الوقوع في فعله، والنِّكل: اللّجام الثقيل؛ لأنّه يمنع الدّابّة من الجماح[11].

(1) الراغب، المفردات: (قدس).
(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 149.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوي).
(4) الخليل، العين: (طوي).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (طوي).
(6) الجوهري، الصحاح: (طوى).
(7) الراغب، المفردات: (طوى).
(8) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 149.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكل).
(10) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح: (نكل).
(11) السمين، عمدة الحفاظ: (نكل).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خـلاصـة قـصّة مـــوسى مـع فـرعـون بغرض الاعـــتـــبـــار والخشية

تُبيِّن الآيات الكريمة ما يقوله الله تعالى لنبيِّه ﷺ: هل أتاك أيّها الرّسول خبر موسى مع فرعون؟ وقت ناداه ربّه بالوادي المطهَّر المبارك الذي اسمه طوى، فكلّفه بالذّهاب إلى فرعون؛ لأنّه قد أفرط في العصيان، فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك، وتتزّكى من النّقائص والمعاصي، وأُرشدك إلى طاعة ربّك، فتخشاه، وتتقيه؟ فأظهر موسى ما معه من براهين لصدقه وآيات لنبوّته، حتّى أراه العلامة العظمى: العصا واليد، فكذّب فرعون كلَّ ذلك، وعصى ربّه ﷻ، ثم ولَّى عن الإيمان مجتهدًا في معارضة موسى، فجمع أهل مملكته، وناداهم، فقال: أنا ربّكم الذي لا ربَّ فوقه، فانتقم الله منه بالعذاب في الدّنيا والآخرة، وجعله عبرة لأمثاله من المتمرّدين؛ إنّ في قصّة موسى وفرعون وما نزل به من العذاب لموعظةً لِمَنْ شأنُه أن يخشى الله سبحانه فيتّعظَ، وينزجرَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل الآيات:

كما الانقطاع لا ينفي الارتباط والتناسب

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ استئناف ابتدائيّ، سيق تسليةً للنّبيّ ﷺ على تكذيب قومه، بأن يُصيبَهم مثلُ ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم[2]، والاستئناف كمال انقطاع عن السّابق، وهو ما لا يمنع من وجود ترابطٍ وتناسبٍ بين الآيات، كما سبق بيانه في المناسبات.

غرض الاستفهام ودلالته:

الاستفهام يُنادي على المعاني بتشويق سامع المباني

آثر النّظم الكريم التعبير بأسلوب الاستفهام دون الخبر المباشر في قوله جلّ شأنه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ لتقرير وقوعه وتأكيد

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 85، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 583 - 584.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 78.

إتيانه، فهو استفهام عن أمر عظيم محقّق الوقوع[1]، وفيه حثّ على التّدبّر والتّأمّل والاعتبار، وأفاد تقرير التّسلية للنّبي ﷺ[2]، وأفاد أيضًا تشويق السّامع إلى الخبر، وليس القصد منه استعلام المخاطب عن سابق علمه بذلك الخبر، ولا يُنتظَر منه جواب، فالمراد بيان أهمّيّة الخبر بحيث إنّه ممّا يتساءل النّاس عن علمه[3].

بلاغة الاستعارة في لفظي الإتيان، والحديث:

الاستعارة تقريبٌ للمعاني بتشخيصها وبيان ألفاظها

استعمل النّظم الكريم لفظ الإتيان في قوله جلّ شأنه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ للدّلالة على حصول العلم وتحقيقه، بتشبيه حصول العلم لدى المخاطَب، بإتيان أمرٍ له على طريقة الاستعارة التّصريحية التبعية، فشبّه المعقول بالمحسوس؛ لتثبيت دلالة اللفظ.

وفي لفظ ﴿حَدِيثُ﴾ أيضًا استعارة مكنية أصلية؛ إذ شبّه الحديث بأنّه إنسان أثبت له الإتيان، فذكر المشبّه، وحذف المشبه به، وهو الإنسان، وأبقى لازمة من لوازمه، وهو الإتيان[4].

بلاغة التّعبير بمفردة الحديث دون الخبر:

قصّة موسى حديث الثبات للأثبات، والاعتبار عند أهل الأبصار

آثر النّظم الكريم التّعبير بالحديث في قوله جلّ شأنه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ دون لفظ الخبر؛ للدّلالة على أنّه خبر يتجدّد، وأنّ قصّة موسى تتكرّر؛ لتسلية النّبيّ ﷺ، وتجديد حثّ قومه على التّصديق[5]، وللإيماءِ إلى أنّه حديثٌ يجب أن يكون حديثَ الثبات للأثبات، والاعتبار عند أهل الأبصار.

معنى ﴿إِذۡ﴾ ودلالتها:

يوم التّجلّي وزمانه مقدّس عظيم

عبّر النّظم الجليل بظرف الزّمان ﴿إِذۡ﴾، في قوله جلّ شأنه:

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 909.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 228 - 229.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 73 - 74.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 74.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 229.

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ للدّلالة على الزّمان الماضي، والمراد التّنبيه على زمان مناداة الله تعالى لموسى عليه السلام، أي: هل أتاك خبر زمان نادى فيه موسى ربُّه[1].

دلالة التَّعبير بالنِّداء مادّة وصيغة:

النّـداء صـوتٌ عـالٍ مـن ورائـه دعوةٌ لتُجاب

عبّر النّظم الجليل بلفظ النّداء في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ للدّلالة على وقوع الصّوت الذي سمعه موسى، فالنّداء هو الصّوت ورفعه[2]، فهو صوتٌ عالٍ يوقظ الغافل، ويُنبه السّاهي، وهو نداءٌ من ورائه دعوةٌ لتُجاب، وأمرٌ ليُجيب، وجاء التّعبير بالفعل الماضي؛ للدّلالة على تحقّق وقوعه وتأكيد حصوله.

غرض التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة:

لطائف الإحسان سابقة، ونعم الرحمن لاحقة

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الرّبوبيّة، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ للدّلالة على أنّه قد أتمّ عليه الإحسان قبل النّداء، فهو المحسن إليه بإيجاده وتقريبه وتدبيره أمر إرساله[3]، وللدلالة على حلول مقتضيات الربوبية من العناية والرعاية في شأنِ موسى عليه السلام تصريحًا، وشأنِ النبي ﷺ تلميحًا، فهو من كمال التّسلية للنّبيّ ﷺ.

نكتة إضافة لفظ الربوبية إلى الضمير:

أُضيف لفظ الربوبية إلى الضمير ﴿رَبُّهُۥ﴾؛ لتشريف موسى عليه السلام، وتفخيم شأنه، وبيان أنَّه ربُّ كلِّ الرسل والأنبياء.

نوع الباء ودلالتها:

حلّت بركة النّداء في الوادي حتّى صار وعاء لها

الباء في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ للإلصاق، فدلّ على تمكُّن النّداء والوحي من الوادي الذي وقع فيه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 74 - 75.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 79.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 229.

وحلول البركة فيه، وفيه معنى الظّرفية؛ إذ الالتصاق بالوادي إنّما يكون فيه، فلا يتحقَّق الأمر، ولا يثبت لأهله إلّا في الوادي.

نكتة استعمال لفظ الوادي:

القرب من الله يكون في وادٍ سحيق وفي جبلٍ شاهق

عبّر النّظم الجليل بلفظ الوادي في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فضلًا عن أنّه وصفٌ للواقع الذي كان، فللدّلالة على الموضع المنخفض بين جبلين الذي يسيل فيه الماء لانخفاضه[1]، فكما أنّ الوادي يسير فيه الماء حال نزوله؛ ليروي الكلأ والنّاس فكذلك الوحي الذي نزل على موسى يأتي بالحياة والخير للنّاس، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ صعود الجبال ليس هو الذي يُقرِّب العبد من ربِّه، بقدر ما أنّها الخلوات، سواءٌ أكان في جوف جبل أم في جبِّ وادٍ سحيق.

نكتة وصف الوادي بالمقدّس:

اجتماع النداء العظيم والوحي الكريم في وادٍ يُكسبه القداسة والكرامة

وصف النّظم الجليل الوادي بأنّه مقدّس في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ للدّلالة على أنّه مطهّر مبارك مشرّف، وجاء التّعبير بصيغة المفعول على وزن (المفعَّل)؛ للدّلالة على غاية التّطهير والمبالغة فيه؛ لتشرّفه بإنزال النّبوّة فيه[2]، ووقوع النّداء فيه، وتكليم الله لموسى عليه السلام، فاجتمع لهذه الوادي النداء العظيم، والوحي الكريم.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿طُوًى﴾:

مكان الوحي ينطوي على خير وبركة عظام

عبّر النّظم الجليل بلفظ ﴿طُوًى﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، وهو اسم الوادي الذي وقع فيه الوحي لموسى عليه السلام على الأصحّ[3]، فهو اسم مكان، ولعلّه سمّي بذلك؛ لأنّه

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 79.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 229.
(3) الإيجي، جامع البيان: 4/ 439.

يشبه البئر المطوية، وهو وادٍ في جانب جبل الطور في برية سيناء في جانبه الغربي[1]، أو فيه إشارة إلى حالة حصلت له على طريق الاجتباء، فكأنّه طَوَى عليه مسافةً لو احتاج أن ينالها في الاجتهاد؛ لبعُد عليه[2] بحسب ما مرّ في شرح المفردات.

علَّة فصل الجملة:

جملة: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ لبيان النّداء السابق ذكره وتفسيره، وبيان مضمونه، أي: ناداه نداءً، هو قوله: اذهب[3].

غرض الأمر:

الأمر ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ للدّلالة على التّكليف ووجوب الذّهاب إلى فرعون وتبليغه الدّعوة.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها:

أين المبدأ من المنتهى وما ألطف النداء وأعظم التّكليف

جاء استعمال حرف الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾ الدّالّ على انتهاء الغاية في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ الدّعوة مقصود بها أن تبلغ إلى فرعون أصالة ولقومه تبعًا، ولبيان أنّ مبدأ الذّهاب هو الوادي المقدس، الذي نودي فيه موسى عليه السلام، ونهايته فرعون، وما أعظم البداية وأشد النهاية! لكنّ التكليف إن نزل؛ فلا اعتراض، بل هو الامتثال.

علَّة فصل الجملة:

عند اشتداد المحن تقترب المنح

فصل النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ لأنّها مستأنفة استئنافًا تعليليًّا، سيقت لتعليل الأمر بالذّهاب إلى فرعون[4]، فدعوة الطّاغية تقيم الحجّة عليه، وهو الذي يُفسِّر سببَ الأمر بالذّهاب، وهو طغيان فرعون وتجاوزه حدَّه، وافتراؤه على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 75.
(2) الراغب، المفردات: (طوى).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 230، والهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 80.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 99.

قومِه، فشدّة الطغيان سبب الخلاص، وما اشتدَّ أمر الظالمين، إلّا قربت نهايتهم.

نكتة توكيد الجملة بإنّ:

تأكيد الطّغيان ملـزم بامتثال التّكليف

أكّد النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ للدّلالة على الاهتمام بمضمون الخبر الذي سيق للتّعليل[1]، ولتأكيد أنّ طغيانه واقع على وجه اليقين فيكون الامتثال للأمر بالذّهاب إليه ألزم.

بلاغة التّعبير بالطّغيان مادّة وصيغة:

ادّعـاء الألوهيّة مـجـاوزة لـحدّ العبوديّة

آثر النّظم الكريم التّعبير بالطّغيان في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّه قد أسرف، وتجاوز ما تقتضيه العبودية، فادّعى لنفسه الألوهيّة[2]، وجاء التّعبير بالفعل الماضي؛ للدّلالة على تحقّق طغيانه ورسوخه، ولبيانِ أنّه طغيان اتّصف به فرعون باعتبار ما تقلّده من الحكم، واستطاع أن يُجريه على قومه، وأن يُرغمهم عليه.

نوع الفاء ودلالتها:

بـعـد تـحـقُّـقِ الـذّهـاب يقع التّبليغ

عطف النّظم الجليل الأمر بالقول على الأمر بالذّهاب بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ تبليغ القول يأتي بعد الذّهاب، ويتسبّب عنه[3]، فهو أمرٌ جاء في عقب آخر.

سرُّ إيثار التّعبير بالقول:

حسـن الـقـول أدعـى لـحسن الاستجابة

آثر النّظم الكريم التّعبير بالقول في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ المراد تبليغ الدّعوة والجهر بها قولًا ولفظًا مع لين في الخطاب ولطف في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 75.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 482.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 230.

الدّعوة[1]، ولم يُراعِ النّظم الكريم ذكر فعل القول قبل قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ وذلك لأنَّه سردٌ للحديث، وهو معلومٌ بالبديهة، ولا نكتة من وراء ذكره.

غرض الاستفهام ودلالته:

الاستفهام من أقوى أساليب استثارة المدعو

عبّر النّظم الجليل بالاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾، وهو هنا مستعمل مجازًا؛ للدّلالة على العرض والتّرغيب[2]، والقائل هنا لا ينتظر جوابًا، بل يطرح الأمر بين يدي مخاطَبه؛ ليُحركه في الحوار، وليقع الاتصال بين الدّاعي والمدعو، والاستفهام من أقوى أساليب تحريك المخالف الذي تحسن معه المبادرة.

معنى ﴿إِلَىٰٓ﴾ ودلالتها:

العرض والتلطّف والترغيب من لوازم الدعوة والتحبيب

دلَّ استعمال حرف ﴿إِلَىٰٓ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ على أنّ مقصود الدّعوة هو التّزكية والتّحلّي بالفضائل[3]، فمعنى ﴿إِلَىٰٓ﴾ الدعوة إلى الشيء، أو العرض، يقال: هل لك إلى كذا؟ وهل لك في كذا؟ وهو كلام يقصد منه العرض بقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل؟ وقوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ﴾ تركيبٌ جرى مجرى المثل، فلا يُغيّر عن هذا التركيب؛ لأنه قُصد به الإيجاز والتقدير: هل لك مَيْلٌ؟ فحذف (مَيْلٌ)؛ لدلالة (إلى) عليه[4]، وفي هذا تلطّفٌ في الدعوة؛ إذ لم يقل له: زكِّ نفسك - بصيغة الأمر - وإنما تلطف في الأسلوب، فقال له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ﴾ يعني: أدعوك، وأعرض عليك ﴿أَن تَزَكَّىٰ﴾.

نكتة التّعبير بالمصدر المؤوّل دون الصّريح:

دعوة إلى الشّروع بمدارج التّزكيَة

عبّر النّظم الجليل بالمصدر المؤوّل ﴿أَن تَزَكَّىٰ﴾، في قوله جلّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 230.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 76.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 230.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 76.

شأنه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ لأنّ التّحلّي بالفضائل والتّطهّر من الرّذائل يحوج إلى زمان، ويدلُّ كذلك على أنّ المقصود تحقّق التّزكية، ولو بأدنى رتبة[1]، فجمع المصدر المؤول بين الحدث وزمانه، مع الإيماء إلى تحقّقه في المستقبل، أي: هل ترغب في أن تُزكّي نفسَك في الزمن القابل؟.

بلاغة استعمال مفردة التّزكية:

الـدّعـوة إلى الإطـار العـام حكمة يتدرّج فيها الدّاعي قبل النّهي الخاص

عبّر النّظم الجليل بفعل التّزكية في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾، وأصله: تتزكى بتاءين، وهو مضارع مطاوع للفعل (زكّاه)، وهو دالّ على الزّيادة والنّماء، فحثّه على تخليص نفسه من العقيدة الضّالّة، والإقبال على ما به زيادة الخير[2]، فدلّ على أنّ قبول الدّعوة يدلّ على الدّخول في طهارة الإيمان[3]، وأتى بلفظ التزكية لما فيها من قبولٍ فطري، قبل أن يعرض له التّوحيد ونبذ الكفر والطغيان، ونكتة ذلك تحقيق الحكمة في الدّعوة، في استدراج الخصم الألدّ إلى ما فيه خير عام، ثم إلى ما فيه ترك للشرِّ العام.

نكتة التعبير بفعل التزكية مضارعًا:

التّعبير بصيغة الفعل المضارع ﴿تَزَكَّىٰ﴾ على وزن (تتفعّل) دالّ على تدرّج وقوع التّزكية حالًا بعد حال على وجه الدّوام والاستمرار.

نوع الواو ودلالتها:

التّـزكـيـة أول طـريـق القـبـول ومـبـدأ مـدارج المريدين

عطف النّظم الجليل الهداية على التّزكية، في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ إعداد النّفس للتّزكية يتبعه الإرشاد لكمال الهداية، فكان ترتيب الجمل في الذكر مراعًى فيه ترتّبها في الحصول، فلذلك لم يعطف

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 230.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 77.
(3) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 149.

بالفاء[1]، فالتّزكية من الأدران هو الخطوة الأولى في طريق القبول، فإن حصلت تُؤمِّل فيما بعدها.

بلاغة التَّعبير بمفردة الهداية مادّة وصيغة:

جـمـع لـفـظُ الـهـداية معنى الإرشاد والإيماء إلـى الميل عـن الباطل

عبّر النّظم الجليل بلفظ الهداية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على الإرشاد، أي: أدلّك، وأرشدك إلى معرفة ربّك ﷻ، وأبين لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه[2]، فطريق الإيمان يتضمّن القدوة والدّليل والمعلّم والمربّي الذي يرشد السّالك لما فيه الهدى، وجاء التّعبير بالفعل المضارع؛ للدّلالة على أنّ الهداية إلى الخير فعل يتجدّد، فجمع لفظ الهداية الإرشاد، مع الميل عن طريق الباطل الذي عليه فرعون، والميل أصل لغوي في مفردة الهداية، وهذا من حكمة الدّعوة، الإيماء إلى الباطل الذي عليه المدعوّ، دون التصريح به، أو المواجهة بحقيقته.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها:

نـهـايـة الأمـاني نيل رضا المولى تعالى

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ غاية الهداية ومنتهاها الوصول إلى حضرة المولى تعالى ونيل رضاه، أي: أهديك إلى كيفيّة المسير إلى موجدك والمحسن إليك[3].

فائدة التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة:

تـذكـير الجاحد بـنـعـم المحسن سبيل المجاهدين

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الرّبوبيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ إشارة إلى إحسانه تعالى على العباد، وتذكيرًا لفرعون بكونه إنّما يتنعّم بنعم الله تعالى التي أحسن بها إليه، أي: وأدلّك على المحسن إليك[4]، ولما في هذا اللفظ من

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 77.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 99، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 909.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 231.
(4) الخطيب، السراج المنير: 4/ 479.

الإشعار بأنَّ فرعون مربوبٌ لربٍّ عظيم، عليه أن يبحث عنه؛ ليشكره ويعبده دون سواه، مع التّعريض بما اعتقده لنفسه، وأقرَّ النّاس عليه ظلمًا وطغيانًا.

نوع الفاء ودلالتها:

الـهـدايـة أصـل الـخـشـيـة وشرطها الأصيل

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾، وهي هنا للتّفريع؛ وذلك إشارة إلى أنّ الخشية لا تكون إلّا بالمعرفة[1]، وهي دالّة على التّرتيب والسّببيّة، فالخشية مترتّبة على الهداية مسبّبة عنها[2]، فلن تحصل الخشية، ويتحقق المراد منها ما لم تتحقّق الهداية في قلب المخاطَب، "وجعل الخشية غاية للهداية؛ لأنَّها ملاك الأمر، مَن خشي اللّه تعالى أتى منه كل خير، ومَن أمن؛ اجترأ على كل شر"[3].

فائدة التَّعبير بمفردة ﴿فَتَخْشَىٰ﴾:

الإغراء بتحصيل خشية العلماء لا خوف العباد

عبّر النّظم الجليل بلفظ الخشية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ مَن يعرف اللّه تعالى؛ فإنّه يخشاه ويتّقيه، فالخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[4]، وآثر النّظم التعبير بالخشية دون الخوف؛ للإشارة إلى أنَّ أصل المعرفة موجود عند فرعون، لكنّها معرفة مشوّهة بالجحود والطغيان والتّكذيب، فإذا ما حصلت الهداية عنده كانت الخشية بعد ذلك، أو للإغراء بتحصيل خشية العلماء دون خوف العباد، وهذا من حكمة الخطاب.

نكتة التعبير بالمضارع:

جاء التّعبير بصيغة الفعل المضارع ﴿فَتَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 77.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 454.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 230.
(4) الراغب، المفردات: (خشى).

مَن عرف الله؛ فقد دامت خشيته له، وأنَّ المطلوب خشيةٌ دائمة لا خوفٌ عابر.

نكتة حذف مفعول الفعل:

معرفة الله تعالى من أبلغ أسباب خشيته

حذف النّظم الجليل المفعول به للفعل (خشي)، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾، فلم يقل: فتخشاه؛ لأنّ المخشيَّ معلوم، كما يُقال: آمن فلان، أي: آمن بالله ووحدانيته[1]، فحذفه تعويلًا للعلم به وطلبًا للإيجاز.

معنى (الفاء) ودلالتها:

طيُّ الحدثِ كنشره لبيان سرعة الامتثال في تنفيذ أمر الديّان

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾، وهي هنا فصيحة تنبئ عن محذوف، فهي تعطف على جمل قد طوي ذكرُها، وذلك تعويلًا على ذكرها في سور أخرى، فإنَّه جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال: ﴿إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾ [الأعراف: 106]، والتقدير: فذهب موسى إلى فرعون بأمره تعالى، فدعاه إلى التوحيد والطاعة، وطلب فرعون منه المعجزة الدالة على صدقه في دعوته، فأراه موسى المعجزة العظمى[2]، وهو انتقالٌ من بديع، من الإرشاد الإلهي، إلى الفعل الموسوي؛ لبيان أنّه بمجرّد ما أن أمره، امتثل لأمر ربِّه، فكان طيُّ الحدثِ كنشره، فأوامر الله تعالى مع موسى عليه السلام، امتثال لا يتردّد فيه، وإنفاذ لا يضطرب فيه.

دلالة التّعبير بلفظ الإراءة:

إذا ظهر البرهان؛ فإنكاره كفران

آثر النّظم الكريم التّعبير بفعل الرؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّه قد أبصرها وعلمها، فلمّا أبصرها،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 78.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 99، والهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 81.

وعرفها؛ ادّعى أنّها سحر كفرًا وكبرًا، وإظهارًا للتّجلّد[1]، فدلّ على أنّ الآية قد ظهرت حتّى رآها بعينه، فقامت عليه الحجّة أمام النّاس.

سرُّ إيثار التّعبير بالآية:

إثبات صدق الرّسل حقيقٌ بالعلامة العظمى والحجّة البينة والمعجزة

آثر النّظم الكريم التّعبير بالآية في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾، وهي تدلّ على العلامة والأمارة، وتطلق أيضًا على الحجّة المثْبِتة، فهي علامة تدلّ على ثبوت الحقّ، وتطلق كذلك على معجزة الرّسل؛ لأنّها دليل على صدقهم، وهو المراد هنا[2]، فهي أشمل في الدّلالة على تنوّع الأدلّة والبراهين على صدق الرّسل، والآية هي العلامة الكبرى، والبرهان الأعظم، فكيف إذا وصفت بما يدلُّ على ذلك.

نكتة إفراد الآية ووصفها بالكبرى:

الآية علامة فخمة عظيمٌ شأنها

آثر النّظم الكريم التّعبير بصيغة الإفراد في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ دون التّثنية؛ إذ المراد بالآية الكبرى اليد وقلب العصا[3]، ولم يثنّها؛ لأنّهما في حكم آية واحدة، وذلك لاتّحادهما في المعنى[4]، ووصفها بالكبرى؛ للدّلالة على أنّها علامة عظمى، وهي المعجزة[5]، أو من باب التّوكيد؛ إذ الآية علامة كبرى، فوصفها بالكبرى توكيد لذلك، وإثبات لفخامتها وعظيم شأنها.

معنى (الفاء) في ﴿فَكَذَّبَ﴾:

المبادرة إلى التّكذيب دليل عمى البصيرة وقسوة القلب

عطف النّظم الجليل التّكذيب على الرّؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ بالفاء[6]؛ لبيان مبادرته بالتّكذيب بعد رؤية الآيات، وللدّلالة على شدّة عناده، فهو لمّا رأى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 99، والهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 81.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 78.
(3) ابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 436.
(4) القنوجي، فتح البيان: 15/ 62، والدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 429.
(5) الخطيب، السراج المنير: 4/ 479.
(6) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 430.

الآية؛ لم يتردّد، ولم يتمهّل، بل بادر إلى إعلان التّكذيب والعصيان[1]، وهذا من شديد كفره وعظيم عناده وكيده، فهو لا يقبل أيَّ تهديدٍ لوجودِه، ويبادر بالتّكذيب لإثبات حضوره.

نكتة عطف العصيان على التّكذيب:

تكذيب الرّسالة يُفضي إلى معصية الله تعالى

عطف النّظم الجليل العصيان على التّكذيب في قوله جلّ شأنه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّه لمّا كذّب بأنّ الآية من الله تعالى؛ فإنّه قد عصى الله ونبيَّه، فلم يطعهما[2]، فتمرّد، وعصى الله ﷻ، بعد ما علم صحّة الأمر ووجوب الطّاعة[3].

نكتة حذف المفعول:

ذكر الأفعال دون مفاعيلها تنبيه على مقصود النّظم من إظهار معانيها

حذف النظم الكريم مفعولي ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾؛ وذلك لوضوح المحذوف، وطلبًا للإيجاز، فالتّكذيب لموسى ﷺ، والعصيان لربِّ العالمين، ونكتة ذلك توجيه الأنظار إلى الفعل لا إلى من وقع عليه، فالتّكذيب والعصيان سلوكان قبيحان، فإذا اتّصف بهما شخص؛ قبُح أمره، وشنع حاله.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتها:

رتبة الإيغال في السّعي لصدّ النّاس عن دعوة ربّهم بعد رتبة التكذيب

عطف النّظم الجليل الإدبار على المعصية والتّكذيب في قوله جلّ شأنه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾؛ للدّلالة على التّراخي الرّتبي، فأفادت أنّ الإدبار للسّعي لجمع النّاس أعلى رتبة من التّكذيب والمعصية، فقد ارتقى من التّكذيب والعصيان إلى ما هو أشدّ، وهو الإدبار والسّعي وادّعاء الإلهية لنفسه، والمعنى أنّه فكّر مليًّا، فلم يقتنع بالتّكذيب والعصيان، بل إنّه خشي أنّ سكوته على دعوة موسى ربّما يجعلها تنتشر بين النّاس، فسعى لصدّهم وتحذيرهم منها[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 78.
(2) الواحدي، البسيط: 23/ 188.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 100.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 79.

نكتة إيثار التَّعبير بلفظ الإدبار:

الإعـــراض عن الإقـبـــال على الـدّعـوة مذمّة قبيحة

عبّر النّظم الجليل بالإدبار في قوله جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدّلالة على ذمّه بأنّه كان حريًّا به أن يقبل على الإيمان بعدما أقبل عليه موسى عليه السلام للإرشاد، ولكنّه استدبر عن الإقبال، وأقبل على البغي والضّلال[1]، ففيه إشارة إلى الذّمّ وتقبيح الفعل، فهو يفعل شنائع الأمور، ويسلك فظائع السبل، ويقلب ما يجب فعله إلى ضده، ويعكس في المقاصد، فاجتمع له في هذا اللفظ من الذّمِّ الشيء العجيب.

دلالة التَّعبير بالسّعي مادّة وصيغة:

الاجتهاد الدّائم في إبطال الحق مهلكة لصاحبها

عبّر النّظم الجليل بالسّعي في قوله جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدّلالة على اجتهاده في مبارزة الحقّ[2]، فالسّعي يدلّ على الجدّ والاجتهاد في نشر الفساد ومعارضة الآيات[3]، وجاء التّعبير بالمضارع؛ للدّلالة على دوام سعيه واجتهاده، لإصراره على الكفر والعصيان.

فائدة (الفاء) ودلالتها:

الإيـــمـــاء إلى اضطراب فرعون في فعله وخوف من الآية الكبرى

افتتح النّظم الجليل الجملة بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾، وهي هنا للعطف، فعطف الحشر على السّعي[4]، وهي دالّة على السّببيّة، أي: فتسبّب عن سعيه أنّه جمع السّحرة وجنوده[5]، ودلّت الفاء كذلك على أنّه كان سريعًا في سعيه، فلم يتأخر في الحشر والجمع، وهو ما يدلُّ على اضطرابه وخوفه ممّا أراه الكليم عليه السلام.

دلالة التَّعبير بمفردة الحشر مادّة وصيغة:

سَـوق الـنّـاس وجـمـعـهـم لإعـلان الـكـفـر على الجمع

عبّر النّظم الجليل بلفظ الحشر في قوله جلّ شأنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾؛ لدلالته على الجمعِ مع السَّوق[6]، فدلّ على أنّه جمع النّاس

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 482.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 909.
(3) الإيجي، جامع البيان: 4/ 440.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 430.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 232.
(6) الفيومي، المصباح المنير: (حشر).

من كلّ جهة[1]، وهو ما يومئ إلى القهر والجبر، والظلم والبغي، وجاء التّعبير بالفعل الماضي؛ للدّلالة على تحقّقه وإنفاذ أمره.

معنى (الفاء) ودلالتها:

المبادرة بإعلان الكفر كناية عن شديد الفزع

عطف النّظم الجليل النّداء على الحشر بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّه أعلن هذا القول فورَ حضورهم، وذلك لعظم حرصه على إبلاغ ذلك إليهم[2]، فالتّأخير ليس في صالحه، والحوار بين أفراد الرعيّة مجلبة لغضب الراعي؛ خوفًا من أن يقود إلى معرفة الحقِّ، والاصطفاف وراءه، كما كان من السحرة.

فائدة التَّعبير بلفظ النداء مادّة وصيغة:

رفع الصّوت ليقع الكلام في المسامع دون تضارب أو غموض

آثر النّظم الكريم التّعبير بالنّداء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّه أعلن ذلك مع رفع صوته تعبيرًا عن شدّة حرصه[3]، وجاء التّعبير بالفعل الماضي؛ للدّلالة على تحقّق وقوعه، فهو يُنادي بأعلى صوته؛ ليقع الكلام في المسامع دون اختلاط المعاني أو تداخل الألفاظ.

بلاغة المجاز العقلي:

إلى الآمر تنسب الأفعال

أسند النّظم الجليل الحشر والنّداء إلى فرعون في قوله جلّ شأنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ على طريقة المجاز العقلي؛ وذلك لأنّه لا يباشر بنفسه حشرهم ولا نداءهم، بل يأمر أتباعه وجنده، وإنّما أسند إليه؛ لأنّه هو الذي يأمر بذلك[4]، فهو مجاز عقلي علاقته السببية.

معنى (الفاء) في فعل القول:

عطف النّظم الكريم القول على النّداء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا۠

(1) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 150.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 80.
(3) الخطيب، السراج المنير: 4/ 480.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 80.

﴿رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ بالفاء[1]؛ لبيان مضمون النّداء، أي: قال لهم بصوتٍ عالٍ هذا القول[2].

فائدة الحصر ودلالته:

كـاد المـريـب أن يقول خذوني

عبّر النّظم الجليل بأسلوب الحصر في قوله جلّ شأنه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ﴾ بتعريف الطّرفين، وذلك لردّه على دعوة موسى[3]، أي: أنا ربّكم لا ربّ لكم سواي، وهذا من بديع نظم الكريم في بيان مقصود المتكلم بغير العربية، فهو يُترجم المعنى بأدقِّ الألفاظ الموصلة معنى القائل دون تغييرٍ لما قال، ودلَّ الحصر على أنَّه ينفي كلَّ دعوةٍ من شأنها هدم ما رفعه من أوهامٍ وأغاليط.

نكتة التَّعبير بلفظ الرّبوبيّة:

رأس الطغيان ادّعـاء الـقـدرة على رزق النّاس ورعـايـتـهـم من دون الله

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الرّبوبيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ لأنّ ديانة المصريين في ذلك الزمن تعتقد بأن (آمون رع) هو الرّب الأعلى، وفرعون ابنه ادّعى لنفسه الرّبوبيّة كذلك[4]، فضلًا عن أنّ ذلك يتضمّن إشارة إلى أنّه المتحكّم بأمور معيشة قومه، كما قال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ [الزخرف: 51]، فذِكر الربوبية وصفٌ للواقع وللقول الذي نطق به فرعون، ولبيان أنّه أقنع قومَه بذلك بما يُعطيهم من أسباب المعيشة، وأشكال الرزق.

نكتة وصفه بـ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾:

طغيان الباطل لا حدّ له وغباء الكاذب لا ثبات له

وصف النّظم الجليل الرّبّ بأنّه ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ للدَّلالة على نفي وجود ربّ سواه[5]، أي:

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 430.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 455.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 80.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 80.
(5) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 150.

لا ربّ فوقي ولا إله، وأنا وليّكم وقائدكم الأعلى[1]، كما حكى عنه قوله في القصص: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، والوصف للتخصيص، ونفي ما سواه، أي: على فرض وجود ربٍّ سواه فهو دون، فلا يُساويه، ولا يكون أعلى منه، وهذا يُبيِّن اضطرابه وانتكاسته.

نوع الفاء ودلالتها في فعل الأخذ:

عاقبة الطّغيان والجبروت عقاب ذي الجبروت

عطف النّظم الجليل فعل الأخذ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ على قول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ بالفاء[2]، أو أنَّها مفرعة عن الجمل التي قبلها، أي: كان ما ذكر من تكذيبه وعصيانه وكيده سببًا لأن أخذه الله، وهذا هو المقصود من سوق القصة، وهو مناط موعظة المشركين وإنذارهم، مع تسلية النبي ﷺ وتثبيته، وهي دالّة على السّببيّة، فبيّنت أنّ العقوبة التي نزلت بفرعون كانت نتيجة لطغيانه واستعلائه وتكذيبه، فهي تربط بين الجريمة وعقابها ربطًا سببيًّا حتميًّا، فتُظهر أنّ الهلاك جاء على مقتضى سنّة ربانية ثابتة، وهي أنّ الطّغيان يعقبه الأخذ، وأيضًا فإنها تسوق العبرة للمشركين بأنّ عاقبة المكذّبين واحدة في كلّ زمان، وفي الوقت نفسه تسلية للرّسول ﷺ بأنّ نهايتهم آتية، كما كانت نهاية فرعون[3].

بلاغة استعمال مفردة الأخذ:

عقاب الله غالب متـمـكّـن من المجرمين

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة الأخذ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ دون (عاقبه)، وذلك لدلالته على التّناول الشديد المفاجئ، وحقيقة الأخذ التناول باليد ويُستعار

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 83.
(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 430.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 81.

للمقدرة والغلبة، أي: لم يُفلت من عقاب الله[1]، واختيار هذه المفردة دون مرادفاتها؛ لبيان شدّة الغضب الإلهيّ، وقوّة العقاب الرباني، فهو أخذ مفاجئ لا تهيئةَ قبله، ولا مفلت منه، ولا مهرب؛ إن وقع.

دلالة التعبير بصيغة الماضي:

الإيماء إلى بداية ذوق عـذاب الآخرة

جاء التّعبير بصيغة الماضي (أخذه) مع أنَّ عذاب الآخرة مستقبل ليوم الجزاء، مراعى فيه أنه لمّا مات؛ ابتدأ يذوق العذاب حين يرى منزلته، التي سيؤول إليها يوم الجزاء، كما ورد في الحديث[2].

دلالة التَّعبير بعنوان الألوهيَّة:

أشـدّ الأخـذ وأبلغه ما كان مـن الجـليـل تعالى

آثر النّظم الكريم التّعبير باسم الجلالة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾؛ للدّلالة على قوّة الأخذ وشدّته، فهو الله تعالى الملك القدير القهّار[3]، فإنَّ الاسم الجليل يورِّث المهابة والقوّة، ويوحي بشدّة الغضب والقهر، فهو دالّ على المبالغة والعظم في شدة الأخذ.

بلاغة استعمال مفردة النّكال:

العـذاب المُهين ما جُعـل عـبرةً للاحقين

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ النّكال في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾؛ للدّلالة على شدّة الأخذ، بحيث إنّه صار مثلًا يتقيّد به، ويتّعظُ به كلُّ من سمعه[4]، فأوقع فيه عذابًا يكون رادًّا لمن يراه، ويسمعه من أن يأتي مثلَ فعلِه[5]، والنكال: اسم مصدر نكّل به تنكيلًا، وهو مثل: السلام، بمعنى التسليم، وهو مشتق من النكول، وهو النكوص والهروب، وانتصب نكال على المفعولية المطلقة لفعل (أخذه) مبين لنوع الأخذ بنوعين منه؛ لأن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 81.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 82.
(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 482.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 235.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 100 - 101.

الأخذ يقع بأحوال كثيرة، وقد استعمل النكال في حقيقته ومجازه؛ لأنَّ ما حصل لفرعون في الدنيا هو نكال حقيقي، وما يصيبه في الآخرة أطلق عليه النكال؛ لأنَّه يشبه النكال في شدّة التعذيب، ولا يحصل به نكال يوم القيامة[1]، فأتى بمفردة النكال؛ لبيان أنَّ شدَّة العذاب جعلته عبرةً لمن بعده من النّاس، وهذا سرُّ إيراد قصّته؛ لتكون عبرةً للمشركين.

نوع إضافة النّكال للآخرة والأولى ودلالتها:

لكلّ دار ما يسوء من العذاب

إضافة النّكال للآخرة والأولى في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ بمعنى (في)، أي: عذابٌ في الأولى وآخر في الآخرة، فدلَّ على عذاب الآخرة بالنّار وعذاب الدّنيا بالغرق[2]، فإضافته إلى الدّارين باعتبار وقوعِ نفسِ الأخذِ فيهما، لا باعتبارِ أنَّ ما فيه من معنى منعِ الناس؛ بسبب الاعتبار حين السماع بالتنكيل يكونُ فيهما، فإن ذلكَ لا يتصورُ في الآخرةِ بل في الدُّنيا، فإن العقوبةَ الأخرويةَ تنكلُ من سمعَها، وتمنعُه من تعاطي ما يُؤدي إليها لا محالةَ[3].

نكتة تقديم الآخرة على الأولى:

التَّقديم باعتبار عِـظَـم الأمـر لا أسبقيّته

قدّم النّظم الجليل لفظ الآخرة على الأولى في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾؛ للاهتمام بشأنها، وإشارة إلى أنّ عذابها أعظم[4]، وهي دار الخلود، فالتقديم ليس باعتبار الزمن، بل باعتبار عظم الأمر وشدّته، وأثره المستمر الدّائم، مع ما في ذلك من مراعاةٍ للاتساق الصوتي.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 81.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 84.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 101.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 235.

علَّة فصل الجملة:

فُصِل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ لأنّها مستأنفة سيقت لبيان مضمون قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ وما بعدها، فالآية فذلكة وبيان ما حصل في القصّة[1].

نكتة توالي المؤكِّدات:

تنبيه أولي الألباب إلى بليغ الأنباء

أكّد النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ وذلك لتنزيل السامعين منزلة من يُنكر ما فيها من المواعظ[2]، وللتّنبيه على كون الخبر جديرًا بأن يسمَع، فيتّعظ به، فإنّ تأكيد الأخبار والمعاني، من شأنه لفت الانتباه إلى ما في المعاني من بليغ الأنباء.

بلاغة استعمال حرف الظرفيّة:

قصص القرآن أوعيةُ الحكمة والعبرة

دلَّ حرف الظرفيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ على تضمّن القصّة العبرة والعظة، فشُبِّه اسم الإشارة العائد على مجمل القصة بظرفٍ فيه من العبر والمعاني والعظات ما يشفي غليل النّاظر المعتبر، وأنَّ النّاظر في الظرف سيستخرج منه العبرة ليزداد خشيةً من الله تعالى، ففي الحرف استعارة تبعية.

نكتة التّعبير باسم الإشارة للبعيد:

علوُّ المكانةِ ووضوح المعنى وصدق الخبر ترسمان طريقَ العبرة

آثر النّظم الكريم استعمال اسم الإشارة الدّالّ على البعد في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ليرجع إلى مجمل القصّة، والقصّة وإن كانت قريبةً؛ فحقّها الإشارة بالقرب، إلّا أنَّ المقصود جعلها في مكانةٍ عالية، وركن سامق، فهي لا تخفى على ناظر، ولا تغيب عن باصر، فضلًا عن أنَّ القصة جاءت في مواضع كثيرة في القرآن، وهي معهودة في تاريخ البشر عمومًا، وتاريخ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 82.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 83.

العرب خصوصًا؛ لقربهم من الحدث مكانيًّا وزمانيًّا، فالإشارة تتعدّى القصّة المذكورة في السورة، إلى القصة عمومًا، وهي كذلك تُشير إلى ضرورة الاعتبار بمثيلاتها من القصص.

نكتة تقديم شبه الجملة:

قدّم النّظم الجليل شبه الجملة على اسم ﴿إِنَّ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾؛ للاهتمام بموقع العبرة، وأنّه كامنٌ في المذكور لأصحاب العقول.

بلاغة استعمال مفردة العبرة:

عبّر النّظم الجليل بلفظ العبرة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على الحالة التي ينتقل الذهن من معرفتها إلى معرفة عاقبتها وعاقبة أمثالها، والمراد بها الموعظة التي توصل إلى كثير من المعارف[1]، ويُلحظ في العبرة أنّها تعبر بصاحبها من شقِّ الغفلةِ إلى شقِّ اليقظة، ومن جانب الجهل إلى جانب العلم، ومن طريق الضلال إلى طريق الهدى، فكل اعتبارٍ يقود بصاحبه إلى العبور.

العبرة هي التي تعبر بصاحبها من جانب الغفلة إلى جانب اليقظة

غرض تنكير لفظ ﴿لَعِبْرَةً﴾:

نُكِّر لفظ: ﴿لَعِبْرَةً﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ لتعظيمها، أي: فيها عبرة عظيمة[2]، وإنّما تظهر عظمة العبرة في آثارها ومآلاتها.

دلالة التّعبير بالاسم الموصول:

آثر النّظم الكريم التّعبير بالاسم الموصول (مَن) في قوله جلّ شأنه: ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ دون الاسم الظّاهر (الخاشي)، أو الاسم الموصول الأشهر (الذي)؛ وذلك للدّلالة على العموم، أي: كلّ من

في القصّة عبرةٌ لكلّ ذي خشية

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 237، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 82.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 101.

خشي الله تعالى؛ فهو يتّعظ بهذه القصّة، فكلّ مَن كان شأنه أن يخشى الله سبحانه ومعرفته، فإنّ العارف بالله وشؤونه يخشى، فلا يتمرّد على الله، ولا على أنبيائه؛ خوفًا من نزول العذاب، والعاقل من وعظ بغيره[1].

بلاغة استعمال مفردة الخشية:

التّعريض بتارك الخشية أن تكون عاقبته كعاقبة فرعون

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة الخشية في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾، وهي الخوف الذي يشوبه تعظيم[2]؛ للدّلالة على أنّ من يخشى الله تعالى هو الذي ينتفع بهذه الآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون؛ عرف أنّ كل من تكبّر، وعصى، فقد استحقّ عقاب الدّنيا والآخرة[3]، ففي التعبير بالخشية بيانٌ للمقصودِ، وهي تحصيل الخوف الناشئ عن علم ومعرفة واعتبار، لا مطلق الخوف، ولمناسبة الخشية المذكورة سابقًا في قوله تعالى: ﴿فَتَخْشَىٰ﴾، ففيها تعريض بمن لا يخشى أن تكون عاقبته كعاقبة فرعون الذي كفر دون أن يخشى، وفيها كذلك "تعريضٌ بالمشركين بأنهم ليسوا بأهل للانتفاع بمثل هذا، كما لم ينتفع بمثله فرعون وقومه"[4].

نكتة التعبير بصيغة المضارع:

جاء التّعبير بالفعل المضارع ﴿يَخْشَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ الخشية المعنيّة هي تلك التي تكون حاضرة على الدّوام، لا خشية عابرة.

نكتة حذف متعلّق فعل الخشية:

إطلاق الخشية لا ينصرف إلّا على الخشية من الجليل

حُذف متعلِّق فعل ﴿يَخْشَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 85.
(2) الراغب، المفردات: (خشى).
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 909.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 82.

لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾؛ وذلك للعلم بالمخشي منه، وهو الله تعالى، ولتنزيل فعل الخشية المتعدي منزلة اللازم بحيث لا تُطلق الخشية إلّا على الخشية من الله، فإذا وصف الإنسان بالخشية انصرف إلى أنّها الخشية من الجليل، لا من عموم الخلق.

بلاغة التَّذييل ودلالته:

التّعريض بالكفّار وأتباعهم بمصائر أكابر المجرمين

ذيّل النّظم الجليل القصّة بقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾؛ للتّعريض بالكفرة من سادة قريش، فمثّلهم بفرعون، ومثّل الدّهماء من أتباعهم بالقوم الذين حشرهم فرعون، ونادى فيهم بالكفر[1]، وعزل من خشي الرحمن عن المشركين وأتباعهم، وهم المؤمنون بالله تعالى، وبيانًا بأنّ من ترك الخشية من الله تعالى؛ فقد ركب متنَ الفجور، وآثر العقاب على نيل الخير وتحصيل الأجور.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّكال والعقاب:

النّكال أصله يَدُلُّ عَلَى مَنْعٍ[2]، والنّكالُ: اسم لما جعلته نَكالًا لغيره؛ إذا بلغه، أو رآه خاف أن يعمل عمله[3]، فالنّكال هو عذاب وعقاب يصير مثلًا يتقيّد به، ويتّعظُ كلُّ من سمعه[4]، أمّا العقاب؛ فأصله يدلّ على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، وإنّما سمّيت العقوبة كذلك؛ لأنّها تكون آخرًا وثاني الذّنب[5]، يقال: عاقبتُ الرّجل: جزيته بما فعل سُوءًا، وأصل ذلك أنك جعلت ثمرة عمله تَعْقُبُه، أي:

النّكال أخصّ من العقاب، فهو عقاب يمنع النّاس عن الإتيان بمثله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 82.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكل).
(3) الخليل، العين: (نكل).
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 235.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).

تلحقه لا يفوتها[1]، وعبّر في الآية بالنّكال؛ للدّلالة على أنّه عقابٌ بخصوصيّة أنّه يمنع غيره من إتيانه، فهو عقاب شديد، فأوقع فيه عذابًا يكون رادًّا لمن يراه، ويسمعه من أن يأتي مثلَ فعلِه[2].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عقب).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 100 - 101.

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"